مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٨١/٩/١

من أين تأتينـــــا الفتـــــن ؟

الذين يعرفون مصر بتاريخها الطـويل ، ويعـرفون شعبها عبـر اجياله المتعاقبة ، يدركون بيقين ان الشخصية المصرية كل لا يتجزأ ، لانه غير قـابل للتجزئة .. وفى كل عصر من عصور التاريخ كانت الشـخصية المصرية وحـدة واحدة ، انت مصرى وكفى لايهم بعد ذلك ان تكون مسلما او قبطيا ، ان تـكون ابيض او اسمر ، ان تكون منحدرا من قبائل شبه الجزيرة العربية او من اسيا الوسطى .. انت مصرى وهذا يكفى ، ولا يهم بعد ذلك اى شىء آخر .. لان مصر لم تعرف التفرقة بين ابنائها بسبب اصولهم او لونهم او ديانـاتهم .

السـماحة المصرية تسـع كل الخلافات الثانوية التـى تـكون بين الاشقاء عادة .. وهذه هى العبقـرية المصرية .. فمـن اين تـاتينا الفتـن المتتـالية التـى نسـميها « الفتنة الطائفية » ، ولماذا تظهر الان بالذات وليس قبـل ذلك ، ولا بعـده ، ولماذا تـظهر بهـذه الصـورة وعلى هـذه الكيفية .. ، والشعب المصرى لم يعرف ابدا هذا الاسلوب مـن العنف حتى فى التعبير عن خـلافاته مهمـا اشتدت .؟

فى مسـالة الدين لا يرى المصرى فارقا بين مسجد وكنيسـة ، كليهما عنده « بيت الله » كليهمـا له فى نفسه درجة متساوية من القداسة .

وفى العقيدة فان المسلم والمسيحى يرى فى الاخر مؤمنا يعبد الله ويتجه اليه ، والمسلم مامور من ربه بحـب المسيحى .

«.. ولتجـدن اقربهم مـودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى..» وهذا قول الله من يخرج عليه فهو مارق من امر ربه .

والمسيحى مامور بان يحب ، وان يسـع بحبـه كل انسـان وكل شىء ، حتى اعداءه ولاعنيه .. وكلاهمـا - المسلم والمسـيحى - يغتـرفان مـن معين واحد لا ينضب ، معين الحـب والسماحة .

وفى مسالة التـاريخ فـان المسـلم والمسيحى كليهما يشـعر بـان هـذا وطنه ، له فيه حقـوق المواطـن الكاملة ، وعليه واجبـات المواطـن الكاملة . كلاهما خاض معارك وطنه كتفا الى كتـف ، لم يفـرق رصـاص العدو يوما بين مسـلم ومسـيحى ، وكلاهما عاش مع اخيه فى امـان ، فى البيت الواحد نصف سكانه مسلمون ونصفهم اقباط ولا يشعر اى منهمـا بالغربة او الغـرابة ، وفى الشـارع الواحد يلعب الاطفال معـا لا يهتـم احد بان يعرف ايهم المسـلم وايهـم المسيحى . وفى المدرسة يجلسان على « تختة » واحدة .

وفى الاحـزان والافـراح تجـدهم دائما معـا ، روحـا واحـدة ، كيانا واحدا .

ويدهش اصـحاب الدراسـات الاجتمـاعية مـن الاوربيين مـن ان العادات والتقاليد الحاكمة فى سـلوك وتفكير المصرى واحدة ، لافـرق بين مسلم ومسيحى الا كالفرق بين ابناء بحرى وقبلى مثلا ، والا بعض فروق فردية تـؤكد القـاعدة ولا تنفيهـا ،

رجب البنا

والقاعدة هى ان مصر بوتقة هائلة صهرت الجميع فى سبيكة واحدة وجعلت من الجميع كيانا واحدا ، واعطت للجميع روحا واحدة .. فكل من على ارض مصر مصرى لحما ودما وتاريخا وروحا ، هو مصرى قبل كل شىء ، وهو مصرى بعد كل شىء ، وكلما ازداد المسلم فهما لدينه ازداد حبا لاخيه القبطى ، وكلما ازداد القبطى فهما لدينه ازداد حبا لاخيه المسلم .

هذه هى مصر ، وهذه هى الشخصية المصرية ، فمن اين تاتينا الفتنة . ؟

ليس من طبيعة المصرى ان يلجا الى التامر الدنىء . انن فهذه الفتنة ـ واخواتها من الفتن ـ ليست مصرية ولكنها طارئة علينا .. شىء غريب غير منسجم مع الكيان والتاريخ والطبيعة ..

لماذا اختيار كنيسة مكانا لمؤامرة .. واختيار توقيت يتفق مع زيارة الرئيس السادات الى واشنطن ، ودائما تظهر الفتنة فى مثل هذا التوقيت وفى كل مرة يموت الضحايا من مسلمين ومسيحيين متعانقين .

ولماذا تظهر « فى كل وقت تقترب منه مصر من الخلاص من مشاكلها وتوشك ان تتفرغ بكل طاقتها للبناء وتحقيق حلم الرخاء . ؟

نحن ندرك ـ طبعا ـ اننا نعيش فى عالم شديد التعقيد ، وندرك ان لنا اعداء هدفهم ان يتفجر الكيان الاجتماعى المصرى وتتحول وحدته المتماسكة الى شظايا ، وندرك ايضا ان فنون التخريب من الداخل وتجنيد العملاء تقدمت وازدادت اغراء وبريقا باستخدام المال او الوسائل السيكولوجية والايديولوجية ، او استخدامها جميعا .. وهذا يستدعى منا يقظة غير عادية ، وقدرة على التمييز فيما يقال لنا بين ما يراد به وجه الله وما يراد به وجه الشيطان .

واذا كان المؤكد ان هذه الفتنة وسابقاتها لاتمثل ظاهرة يمكن رصدها والوقوف عندها طويلا على انها اصبحت من معالم الطريق التاريخى الذى نسير فيه ، لكنها مع ذلك ليست شيئا هينا ، هى وافد طارىء غريب ، لكنها كالشيطان الذى وسوس لسيدنا ادم فاخرجه من الجنة ، ولاننا لانريد ان نفقد جنتنا التى نعيش فيها معا ، فان واجبنا ان نتعقب كل من يحرك عواطف الناس نحو الفتنة او يغذيها او يستفيد منها او يحاول تصعيدها ، لكى نمسك بسايدينا الخيوط التى تربط هؤلاء بمن يحركهم . لنصل الى « الفاعل الاصلى » فى هذه الجريمة .

وتبقى مصر فوق الفتن ..

ويبقى المصرى اقوى من اى مؤامرة .

ويبقى الدين انقى واطهر من ان يلوثه البعض فيجعلوه سلاح كراهية وحقد وهو فى حقيقته سلاح حب وحياة وتقدم .